مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٨) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٨) 2023

جماليات الصور التشبيهية في نهج البلاغة – باب الحكم والمواعظ أنموذجاً

د. منال ناصر*

حلا محمد خليل**

(تاريخ الإيداع ٨/٣٠ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ١٠/٢٦ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

يتجلى هدف هذا البحث في الربط بين وظائف البلاغة الجمالية ووظائف الحكم والمواعظ الإرشادية، فمن المعروف أن الحكمة أو الموعظة – غالباً – تتوسل الكلام الواضح المباشر للوصول إلى غاية الفائدة والإفهام، فهي بذلك تشتمل على عناصر لغوية حجاجية لا يجد القارئ معاظلة لفظية أو معنوية في فهمها وإدراكها، إذ يُشكّل الغموض أو الإبهام حاجزاً معرفياً يحجب القارئ عن إدراك غاية الحكمة وفائدة الموعظة، لكننا نجد في كلام الإمام حلاً جمالياً لهذه الإشكالية، فقد جاءت حكمه ومواعظه عميقة الغور وقريبة المتناول في الوقت نفسه، تتواءم فيها الوظيفة الإرشادية التي لا تحتاج إلى معان غامضة مع الوظيفة الجمالية التي ترقى بالحكمة أو الموعظة إلى مستوى تأثيري مضاعف، فحكم الإمام ومواعظه تتوخى فهماً جمالياً لدى القارئ، ولذلك نراه يعمد إلى ابتداع سياق كلامي محفوف بالجمال، من دون أن يفقد هذا السياق وظيفته الإرشادية، كما نراه يستثمر إمكانات النظام البلاغي في عبارات موجزة تتيح المجال للقارئ لكي يكتنه عمقها، وينشر طيها، فيكون القارئ بذلك شريكاً في إنتاج المعنى المراد من الحكمة أو الموعظة، وهذا ما يعمّق من فهمه وإدراكه لغايتها الأساسية.

الكلمات المفتاحية: نهج البلاغة، الصور التشبيهية، البلاغة الجمالية، باب الحكم والمواعظ.

* مدرّس في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سورية

** طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سورية

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٨) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٨) 2023

Aesthetics of Similarity Images in Nahj al-Balaghah - Chapter of Wisdom and Sermons as an Example

*** Dr. Manal Nasser**
****Hala Mohamad Khalil**

(Received ٣٠/٨ /٢٠٢٣. Accepted ٢٦/١٠/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

The aim of this research is to link the functions of aesthetic rhetoric with the functions of guidance and admonition. It is known that wisdom or admonition often relies on clear, direct speech in order to achieve the goal of benefit and understanding. As such, it includes linguistic elements that the reader cannot equivocate in terms of verbal or conceptual comprehension. Obscurity or ambiguity forms a cognitive barrier that prevents the reader from perceiving the goal of wisdom and the benefit of admonition. However, in the words of the imam, we find a beautiful solution to this problem. His wisdom and admonitions are profound yet accessible, with the guidance function that does not require mysterious meanings aligned with the aesthetic function that elevates wisdom or admonition to a double-effect level. The imam's wisdom and admonitions aim for a beautiful understanding by the reader, and thus, he intentionally creates a context of speech that is full of beauty without losing its guidance function. Moreover, he uses the potentials of rhetorical system in concise phrases that allow the reader to explore its depth, making the reader a partner in producing the intended meaning of wisdom or admonition. This deepens the reader's understanding and realization of its basic goal.

Keywords: Nahj al-Balaghah, Similarity Images, Aesthetic Rhetoric, Chapter of Wisdom and Sermons.

* Lecturer, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous, Tartous, Syria.
** Master student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous, Tartous, Syria.

المقدمة

يُعدّ التشكيل البلاغي من أهم التشكيلات الفنية التي ينهض عليها النص الأدبي، وقد اعتنى العلماء العرب به عناية خاصة بوصفه المعيار الأرقى في تحديد قيمة الكلام من الناحية الجمالية، فعرّفوا البلاغة تعريفات مختلفة تكاد تتفق على أن بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، وبذلك فإنّهم يقرنون الفصاحة بالبلاغة، ويذهبون إلى تلمّس إعجاز القرآن الكريم من خلال بلاغته وفصاحته، مهتدين بالمقولة البلاغية الخالدة (لكلّ مقام مقال). وهكذا فإن الأحكام الجمالية التي أسبغها العرب على صنوف الكلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببلاغة هذا الكلام وفصاحته.

ويُعد نهج البلاغة، المشتمل على ما جمعه الشريف الرضي من كلام الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، من أهم الكتب التي يتّضح فيها دور التشكيل البلاغي في الارتقاء بمستوى الكلام، فقد اجتمع للإمام من صفات البلاغة والفصاحة ما لم يجتمع لمثله على مر العصور، ويتجلى ذلك في خطبه ورسائله وحكمه ومواعظه ، ويمكننا القول إن نهج البلاغة ميدان خصب للدراسات البلاغية الجمالية، لا تستنفده البحوث مهما كثرت، وهو جدير دائماً بقراءات متعددة تحاول أن تبحث في بلاغته، وتستكشف جماله، وتكتنه عمقه، ولذلك جاء بحثنا الموسوم بـ (جماليات الصور التشبيهية في نهج البلاغة – باب الحكم والمواعظ أنموذجاً).

أهمية البحث ومسوغاته

يمكننا إيجاز أهمية البحث ومسوغاته في النقاط الآتية:

– على المستوى الجمالي: إن البحث في عناصر الجمال الأدبي مشفوعٌ بدراسة الوظائف التي يضطلع بها النص بوصفه وسيطاً لغوياً بين المؤلِّف والقارئ، إذ يستطيع الجمال الفني بناء جسرٍ يصل بين قصد المؤلف وفهم القارئ، وعليه فإن الجمال وسيلة وغاية في الوقت نفسه.

– على المستوى البلاغي: تنهض البلاغة بدور مركزي في معمارية النصوص الأدبية، ولا سيما من خلال قدرتها على التعبير غير المباشر عن المعنى، إذ يفارق النص اللغة المألوفة المباشرة بقدر ابتعاده عن (درجة الصفر البلاغية) في الخطاب، وعليه تحتل البلاغة مكانة مرموقة في الدراسات الأسلوبية التي تعنى بمقاربة النصوص بلاغياً ونحوياً وصرفياً وصوتياً للكشف عن جمالياتها، ولا سيما من ناحية فاعليتها في خلق حالة من المشابهة أو المجاورة بين عناصر الصورة (علم البيان) وهكذا فإن التشكيل البلاغي هو العامل الأساس الذي يمنح النص أدبيته وجماليته.

– على المستوى النصي: يرجع اختيار البحث (نهج البلاغة) بوصفه مادة نصية لدراسة جماليات التشكيل البلاغي انطلاقاً من القيمة الفنية العالية التي يحملها كلام الإمام، وهو الموصوف بأنه "دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين".

أهداف البحث

يضع البحث هدفاً رئيساً له يتجلى في الربط بين وظائف البلاغة الجمالية ووظائف الحكم والمواعظ الإرشادية و يرتبط بجملة من الأهداف، و يمكننا الوقوف عند مجموعة من الأهداف المتصلة به، وهي:

– التركيز على الدور الجمالي للبلاغة في إيصال المعنى، وذلك من خلال التحليل النصي، والابتعاد عن الإجراءات الإحصائية والتصنيفية التي تسلب النص رونقه الجمالي من خلال تركيزها على الأنواع البلاغية وتبويبها وتعدادها وشرحها.

– إثبات أن التشكيل البلاغي في حكم الإمام ليس مجرد حلية معنوية أو زينة لفظية بقدر ما هو وسيلة فنية تستبطن الدلالة، وتسوق المعنى إلى ذهن القارئ على حامل جمالي.

– إقامة الدليل على دور البلاغة في إخراج نص الحكمة أو الموعظة من سكونيته التعبيرية، والارتقاء به إلى فضاء حركي يحتفي بالجمال.

– إبراز دور البلاغة في إضفاء الجمال على الحكمة أو الموعظة .

منهج البحث

سيعتمد البحث في مقاربة مادته النصية المنهج الوصفي، إذ يتيح هذا المنهج إمكانية توصيف الظاهرة البلاغية للوقوف على عناصرها وتشكيلاتها الفنية، ثم تحليل هذه الظاهرة من خلال سبر أغوارها الدلالية وصولاً إلى تحديد تأثيراتها الجمالية، وبذلك فإن هذا المنهج ينطلق من وصف الظاهرة البلاغية وصفاً خارجياً وصولاً إلى عمقها، ليجلو تواشج البنيتين السطحية والعميقة للنص في سبيل إنتاج الفاعلية الجمالية فيه.

الصور التشبيهية

التشبيه لغةً هو التمثيل، وقد جاء في لسان العرب: "الشِّبْه والشَّبَه والشَّبِيه: المِثْل، والجمع أشباه. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله"[1]. أما اصطلاحاً، فقد تعددت مقاربات البلاغيين القدامى له، إذ يرى ابن رشيق القيرواني أنّ "التشبيه صفةُ الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"[2]. وجاء عن الخطيب القزويني قولُه: "التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"[3]. وبذلك فإن التشبيه البلاغي يقومُ على المشاركة، وتقتضي المشاركة مشابهةً بين طرفين، مما يستدعي ضرورة التناسب المنطقي بين هذين الطرفين، "لأن الشيء إنما يُشَبَّه بغيره إذا قرب منه، أو دنا من معناه، فإذا شابهه في أكثر أحواله فقد صحَّ التشبيه، ولاق به"[4]

ويمكننا إجمال أغراض التشبيه بالآتي[5]:

---

[1] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠٠٤ م، مادة (شبه).

[2] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ج١، ص ٢٨٦.

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م ،ص ١٦٤ .

[4] الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٤، المجلد الأول، ص ٣٧٢.

[5] ينظر: علم البيان، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥ م، ص ١١٣.

١- بيان إمكان وجود المشبه: وذلك حين يسند إلى المشبه أمر مستغرب، لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له.

٢- بيان حال المشبه: وذلك حين يكون المشبه مجهول الصفة قبل التشبيه، فيفيد التشبيه الوصف.

٣- بيان مقدار حال المشبه: وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، ثم يأتي التشبيه لبيان مقدار هذه الصفة، من جهة القوة والضعف والزيادة والنقصان.

٤- تقرير حال المشبه: وذلك بتثبيت حال المشبه في ذهن السامع، وتقوية شأنه لديه، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التأكيد والإيضاح بمثال.

٥- تزيين المشبه: وذلك بأن يُلتمس للمشبه مشبه به حسن الصورة أو حسن المعنى يرغب فيه، وأكثر ما يكون هذا الغرض في المدح والرثاء والفخر.

٦- تقبيح المشبه: وذلك إذا كان المشبه قبيحاً حقيقياً أو اعتبارياً، فيؤتى له بمشبه به أقبح منه للتنفير منه، وأكثر ما يكون هذا الغرض في الهجاء.

سيحاول البحث معاينة جماليات الصورة التشبيهية في نماذج من كلام الإمام (عليه السلام) انطلاقاً من تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه، واعتبار أركانه، ثم يُفرد البحث فقرة خاصة للتشبيه التمثيلي لأهميته الجمالية الخاصة.

التشبيه باعتبار طرفيه

يُنظر في هذا التقسيم إلى طرفي التشبيه من حيث الحسية والعقلية، فقد يكون طرفا التشبيه محسوسين يُدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وقد يكونان معقولين يُدركان بالعقل، ويشمل ذلك المحقق ذهناً: كالرأي والأمل والعلم والشجاعة، كما يشمل الوهمي، وهو ما لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الخارج، ويشمل أخيراً الوجداني، وهو ما يُدرك بالقوى الباطنة: كالفرح والجوع والعطش، وقد يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً أو على العكس[١].

ومن ذلك ما جاء لدى الإمام عليه السلام في قوله: "قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، وَالْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ، وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ"[٢]. إذ يُشبّه مرور الفرصة بمرور السحاب، داعياً إلى انتهاز فرص الخير، وقد جاء هذا التشبيه سعياً وراء اقتران المعنى العقلي بالمعنى الحسي، وفي ذلك تقريب لحركة المرور السريع من ذهن القارئ، إذ يتمثّل القارئ في ذهنه حركة السحاب التي يرصدها بحاسة البصر، ثم يربطها بحركة الفرص العقلية، فيحدث الفهم الجمالي القائم على الإدراك الحسي للأمر العقلي.

ولا نعدم في هذا النوع من التقسيم تعدد طرفي التشبيه، أو تعدد أحدهما، وعليه يمكننا تحديد الأصناف الآتية في التشبيه باعتبار طرفيه:

---

[١] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي ، ضبط وتدقيق وتوثيق : د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت ، ١٩٩٩م ، ص٢٢١ –٢٢٢.

[٢] نهج البلاغة، ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: الأستاذ الشيخ محمد عبده، دار كرم للطباعة والنشر، دمشق، د.ت، ج ٤، ص ٦.

– التشبيه الملفوف: "وهو جمع كل طرف من طرفي منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به – بحيث يؤتى بالمشبهات أولاً، ثم بالمشبهات بها ثانياً"[1]، كقول الإمام عليه السلام: "أُوصِيكُمْ بِخَمْس لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإِبِلِ لَكَانَتْ لِذلِكَ أَهْلاً: لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ رَبَّهُ، وَلاَ يَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ، وَلاَ يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لاَ أَعْلَمُ، وَلاَ يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ. وَعليكم بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلاَ خَيْرَ فِي جَسَد لاَ رأْسَ مَعَهُ، وَلاَ في إِيمَان لاَ صَبْرَ مَعَهُ"[2]

يحضر الشاهد هنا في تشبيه الصبر والإيمان من جهة، بالرأس والجسد من جهة أخرى، وبذلك يجمع الإمام عليه السلام المشبهات المعقولة مع بعضها، ثم يأتي بالمشبهات بها المحسوسة مع بعضها أيضاً، ثم لا يكتفي بذلك، وإنما يذهب إلى بيان نفي الخير عن الجسد بغياب الرأس، وإسقاط ذلك على نفي الخير عن الإيمان بغياب الصبر، لتغدو الصورة البيانية واضحة من خلال تمثّل العقلي المتعدد بالمحسوس المتعدد، ضمن علاقة تشبيهية تتوخى المقارنة بينها للوصول إلى نتيجة تقرن الإيمان بالصبر اقتراناً إلزامياً مثل اقتران الجسد بالرأس.

– التشبيه المفروق: "وهو جمع كل مشبه مع ما شُبّه به"[3]، كقول الإمام (عليه السلام): "اَلْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ"[4]، إذ يُشبّه الحلم بالغطاء الساتر،[5] ثم يشبه العقل بالحسام القاطع، والغاية من هذا التشبيه المفروق تسويغ النصيحة اللاحقة له ؛ إذ يدعو الإمام (عليه السلام) إلى ستر خلل الخلق بالحلم بوصفه غطاءً يخفي العيوب الخلقية تبعاً لصبر الحليم على الأذى، واستيعابه للنوائب، كما يدعو إلى مقاتلة الهوى بالعقل؛ لأن العقل مثل السيف القاطع الذي يضع حداً للهوى المتّبع، ويلجم انسياق المرء خلف هواه بحسن التدبير والتفكّر في المآل. ويمكننا أن نلحظ هنا جمالية العلاقة بين المعقولات (الحلم، العقل)، والمحسوسات (الغطاء، السيف)، ودورها في رسم صورة واضحة ترتقي بمستوى الفهم والإدراك لدى القارئ، من خلال المبدأ المعروف (الحسيات معابر إلى العقليات).

– تشبيه الجمع: "وهو أن يتعدد المشبه به دون المشبه"[6]، من مثل قول الإمام (عليه السّلام): "إِنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلاَّهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَاش بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِد بَعُدَ مِنَ الآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ"[7]. إذ يشبه الدنيا والآخرة بالعدوّين المتفاوتين أولاً، ثم بالسبيلين المختلفين ثانياً، ثم بالمشرق والمغرب ثالثاً، ثم بالضرّتين رابعاً، وقد أفاد ذلك ترسيخ الفروق بين الدنيا الآخرة بوصفهما طرفي نقيض، فمن أحب الدنيا أبغض الآخرة، وكان يمكن للإمام (عليه السلام) الاكتفاء بمشبه به واحد، لكنه اختار تشبيه الجمع لتأكيد الفكرة السابقة بأكثر من

---

[1] جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٢٢٥.

[2] نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٨.

[3] جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٢٢٥.

[4] نهج البلاغة، ج ٤، ص ٩٩.

[5] جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٢٢٦.

[6] نهج البلاغة، ج ٤، ص ٢٣.

مشبه به، إذ تجتمع هذه المشبهات بها، وتأتلف في سبيل نقل الصورة إلى مستويات متعددة من التشبيهات، مما يعزز اليقين بغاية التشبيه لدى الإمام، وهي: طلب الآخرة والإعراض عن الدنيا.

التشبيه باعتبار أركانه

من المعلوم أن أركان التشبيه أربعة: المشبه والمشبه به: وهما طرفا التشبيه، ووجه الشبه: وهو الوصف المشترك بين الطرفين، وأداة التشبيه: وهي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به.

– التشبيه تام الأركان: وهو التشبيه الذي يشتمل على الأركان الأربعة السابقة كلها، كقول الإمام (عليه السلام) في كلام يوجهه لابنه الحسن (عليه السلام): ".. وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ"( ). إذ يشبّه الكذّاب بالسراب، باستخدام أداة التشبيه (الكاف)، ذاكراً وجه الشبه بينهما (تقريب البعيد وإبعاد القريب)، فقد اقتضى السياق هنا ذكر الأركان كلها لأسباب جمالية ودلالية، يمكن تبيّنها من خلال معياري المقارنة والمقاربة في الصورة التشبيهية:

إذ يذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن التشبيه يستدعي مقارنة طرفين متمايزين، لاشتراك بينهما في الصفة نفسها، أو في حُكْمٍ لها ومقتضى( )، وهذا يعني "أن التشبيه يفيد الغيرية ولا يفيد العينية، بمعنى أن طرفي التشبيه – وإن تعددت صفاتهما المشتركة – لا تتداخل معالمهما، ولا يتّحد أي منهما أو يتفاعل مع الآخر، بل يظل هذا غير ذاك ومتمايزاً عنه"[٣]. وبمعنى آخر فإن التشبيه يوقع الائتلاف بين المختلفات، ولا يُوقع الاتحاد، فالكذّاب – في كلام الإمام (عليه السلام) – غير السراب، لكنه يشترك معه في الصفات نفسها، وهنا تتجلى المقاربة التي ينهض بها وجه الشبه.

ومثل ذلك قول الإمام (عليه السلام): "صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ: يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ"( )، إذ يشبه صاحب السلطان بِراكب الأسد عبر أداة التشبيه (الكاف)، ثم يأتي وجه الشبه ليوضّح الصفة المشتركة بينهما، فراكب الأسد يغبطه الناس، ويتمنون منزلته لعزّته، ولكنه أعلم بموضعه من الخوف والحذر، فهو، وإن أخاف بمركوبه، إلا أنه يخشى أن يغتاله، وكذا صاحب السلطان، يُعزّ بقربه منه ومصاحبته، ولكنه لا يأمن انقلاب السلطان عليه، فهو أيضاً على خوف وحذر، وعليه جاء ذكر الأركان كلها في هذه الصورة التشبيهية لتضفي على الكلام بعداً بلاغياً ما كان ليتحقق لو حُذف وجه الشبه مثلاً، أو ربما أراد وجه الشبه بعينه ، فلم يترك الأفق متاحاً أمام المتلقي ليبحث عن وجه الشبه وفق رؤاه إذ يحدو وجه الشبه مسار الفهم نحو غاية التشبيه، ويحقق تأثيراً جمالياً انطلاقاً من ذكر هذا الوجه التخيلي، ثم تمثّله في الذهن واقعاً، وصولاً إلى إدراكه وفهمه على النحو المطلوب بالمزاوجة بين الخيال والواقع.

– التشبيه المؤكد: "وهو ما حُذفت أداته"( )، ويأتي حذف الأداة "للدلالة على قوة المشابهة، حتى يصير المشبه والمشبه به في حكم الشيء الواحد"( )، كقول الإمام (عليه السلام): [١]"اللِّسَانُ سَبُعٌ، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ"( )،

( ) نهج البلاغة، ج ٤ ، ص ١١.

( ) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ،دار المدني بجدة ، د.ت.

( ) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د.جابر عصفور، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط٣ ،١٩٩٢م.

( ) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٦٣.

( ) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٢٣٧.

إذ يشبّه اللسان بالسبع، من دون ذكر أداة التشبيه بينهما، مما يوحي بالتماهي بينهما في الأثر الذي يبيّنه وجه الشبه المذكور، فإذا تُرك السبع من دون قيد، فإن من عادته العقر، وكذلك اللسان، فإنه إذ تُرك من دون ضوابط أخلاقية، فإن الكلام الصادر عنه قد يجرح مشاعر الآخرين، وهكذا، فإن غياب أداة التشبيه يخدم الصورة من حيث اتساع مدى الائتلاف بين طرفي التشبيه، ثم يأتي وجه الشبه المذكور ليعمّق هذا الائتلاف من خلال إيضاح الصفة المشتركة بينهما، فالغاية الجمالية هي بيان أثر الكلام الجارح على مشاعر الناس، ولذلك جاء تشبيه الإمام (عليه السلام) قائماً على حذف الأداة، والتركيز على وجه الشبه الذي يبيّن هذا الأثر المعنوي بصورة حسية تتوخى مدح الصمت عندما يكون في الكلام أذى، "فكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وغيره من العلماء في مدح الصمت محمولٌ على مَن يسيء الكلام، فيقعُ منه جنايات عظيمة في أمور الدين والدنيا"( ). ٣

– التشبيه المجمل: وهو ما حُذف وجه الشبه منه( )، كقول الإمام (عليه السلام) لرجُل رآه يسعى على عدوّ له بما فيه إضرار بنفسه: "إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ"( ). إذ يشبّه هذا الرجل بمن يطعنْ نفسه ليقتل ردفه، والردف هو الراكب خلف الراكب، وقد جاء وجه الشبه محذوفاً، مما يفسح المجال لإعمال العقل في تصوّر هذا الوجه في الذهن، فيستحضر القارئ صورة الرجل الذي يطعن نفسه كي تنفذ الطعنة إلى الرجل الراكب خلفه، فيقتل نفسه قبل أن يقتل ردفه، وهنا يرقى التشبيه إلى منزلة بلاغية تجعل القارئ شريكاً في التأويل، فالسعي على العدو بما فيه ضرر للإنسان كامن في وجه الشبه المضمر، وبذلك تصل الغاية من هذا التشبيه إلى ذهن القارئ بطريقة إيحائية غير مباشرة، ليستقر المعنى فيه بعيداً عن المباشرة الوعظية.

التشبيه التمثيلي

"وهو ما كان وجه الشبه فيه صورةً منتزعةً من متعدد"( )، ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ تشبيه التمثيل أجلّ أنواع التشبيه، لما يتطلبه من تأويل يجلو خفاياه ويؤدي معناه، يقول: "اعلم أن الشيئين إذا شُبِّه أحدهما بالآخر، كان ذلك على ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمرٍ بيّنٍ لا يحتاج إلى تأوّل، والآخر أن يكون الشبه محصّلاً بضرب من التأوّل"( )، وقد خصّ التمثيل لهذا الضربْ الثاني من التشبيه، وبذلك يعطي عبد القاهر المتلقيَ دوراً مهماً في كشف جماليات التشبيه.

ومن تشبيه التمثيل ما جاء في قول الإمام (عليه السلام): "تَوَقَّوا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ"( )، إذ يسوق الإمام (عليه السلام)^ النصيحة التي

( ) أساليب البيان والصورة القرآنية – دراسة تحليلية لعلم البيان، د.محمد إبراهيم شادي، دار والي الإسلامية، المنصورة، مصر، ط ١، ١٩٩٥ م، ص ٦٢.

( ) نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٥.

( ) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤ م، ج ١٨، ص ٣١٥.

( ) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٢٣٥.

( ) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢.

( ) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٢٣٤.

( ) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص٩٠.

( ) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٠.

تدعو إلى اتقاء البرد في أوله، وتلقيه في آخره، على حامل بلاغي تشبيهي تمثيلي ؛ فيشبّه فعل البرد في الأبدان كفعله في الأشجار، وذلك عبر صورة مركّبة تتعدد فيها المعطيات تبعاً لامتدادها على مسافة زمنية بين أول البرد وآخره، وبمعاينة هذه الصورة يمكننا القول: إن أوّل البرد يأتي على عهد من الأبدان بالحر، فيؤذيها انقلاب الحال من الحر إلى البرد، أما في آخره فيمسّها البرد بعد تعوّدها عليه، وهو إذ ذاك أخف وأنفع، وهذا ما يكون مع الأشجار التي يعرّيها البرد في أوّله من أوراقها، ثم تستعيد هذه الأوراق في آخره وهي تستقبل الربيع، وقد جاء هذا التطابق في الفعل على سبيل التشبيه التمثيلي الذي يفعّل دور القارئ في مقاربة المشبه به المركّب (فعل البرد في الأشجار)، وإسقاط ذلك على المشبه المركّب (فعل البرد في الأبدان)، ضمن حركة تشبيهية تمثيلية تنتزع وجه الشبه من متعدد.

إن التشبيه التمثيلي "هو ما كانت صفته المشتركة بين الطرفين غير ظاهرة بنفسها في المشبه، فيحتاج استخلاصها منه إلى تأوّل وتخيّل"[1]، فالصفة المشتركة في كلام الإمام[2] (عليه السلام) متحققة في الأشجار؛ لأن العين تراها، لكنها غير متحققة بذاتها في الأبدان، وعليه كانت الاستعانة بصورة مركبة تجلو فعل البرد في الأبدان استناداً إلى فعله المرئي في الأشجار، ويعتمد ذلك على فاعلية التخييل التي ترتقي بالصورة جمالياً وبلاغياً.

ومن نماذج التشبيه التمثيلي الزاخرة بالجمال قول الإمام (عليه السلام) : "يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَد أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلاَّ وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبلِ"[1]. وقبل الدخول في جماليات التشبيه التمثيلي هنا، لا بد من معاينة النص على الجملة؛ للوصول إلى فوائد هذا التشبيه وغرضه:

يخاطب الإمام (عليه السلام) كميلاً، داعياً إياه أن أوصِ أهلك بمواصلة أعمال الخير، فرواحهم في الإحسان والمحامد، وإدلاجهم في قضاء الحوائج، ينتجان سروراً في قلوب الناس، كما يورثان لطفاً من الله لمن اتّبع ذلك، فإذا نزلت به مصيبة دفعها هذا اللطف عنه، قد جاء التعبير عن دفع المصيبة بصورة تمثيلية ذات منحيين، إذ يشبه جري اللطف إلى المصيبة كجري الماء في انحداره، ووجه الشبه هنا سرعة الجريان والقدرة على التطهير وإزالة الأثر برفق ولين، ثم يشبه طرد اللطف للمصائب كطرد صاحب المرعى للإبل التي لا تكون من ماله، ووجه الشبه هنا التنقية من الشوائب. وهكذا تغدو النفس المشمولة بلطف الله قادرة على تجاوز النوائب، ونقية من الكدر في الوقت نفسه.

لقد استطاع التشبيه خلق علاقات جمالية بين أطراف الصور التشبيهية بما يخدم الغاية الدلالية، فالتشبيه يمد جسوراً بين المحسوسات والمعقولات متوخياً الإيضاح تارة، والمبالغة تارة أخرى، وفي الحالتين تكتسب الصور التشبيهية بعدها الجمالي القائم على الغرابة والدهشة، مما يحفز القارئ على فهم العلاقات بين المحسوسات والمعقولات فهماً جمالياً يُفضي إلى تفاعله معها.

---

[1] أساليب البيان والصورة القرآنية – دراسة تحليلية لعلم البيان، د.محمد إبراهيم شادي، دار والي الإسلامية ، المنصورة ،مصر ،ط١ ، ص ١٤٣.

[2] نهج البلاغة، ج ٤، ص ٥٦.

الخاتمة

يمكن إيجاز أبرز نتائج البحث في النقاط الآتية :

- بدا البعد التمثيلي في حكم الإمام علي عليه السلام عميق الدلالة ناصع العبارة، وجاءت الصور التشبيهية لأغراض النصح والوعظ والإرشاد.
- أغنى التشخيص في حكم الإمام علي عليه السلام المعنى الأسلوب، فهو يصور الأفكار المجردة والمعنوية بصور محسوسة ماثلة للعيان؛ لتقريبها من ذهن المتلقي وإدراكه.
- امتازت حكم الإمام علي عليه السلام بقيم تصويرية، فجاءت هذه الأمثال وهي تصور الحدث الذي ولدت فيه بطرق مختلفة، فهي تتسق مع الواقع وتبتعد عن التقليد.

المصادر والمراجع

١. *أساليب البيان والصورة القرآنية – دراسة تحليلية لعلم البيان*، د.محمد إبراهيم شادي، دار والي الإسلامية، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٩٥ م.

٢. *أسرار البلاغة*، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه :محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.

٣. *جواهر البلاغة*، السيد أحمد الهاشمي، ضبط و تدقيق و توثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط١، ١٩٩٩م .

٤. *الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة*، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٣م.

٥. *شرح نهج البلاغة*، ابن أبي الحديد المعتزلي، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤ م، ج ١.

٦. *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*، د.جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.

٧. *علم البيان*، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٥م.

٨. *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ج١.

٩. *لسان العرب*، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠٠٤ م، مادة (شبه).

١٠. *الموازنة بين أبي تمام والبحتري*، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط٤، المجلد الأول.

١١. *نهج البلاغة*، ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: الأستاذ الشيخ محمد عبده، دار كرم للطباعة والنشر، دمشق، د.ت، ج ٤.